الفصل الثاني

توابع السماء والآيات الكونية المتعلقة بها

المبحث الأول: آيات مختارة في خلق السماء وما يتبعها من أجرام سماوية وبروج.

بعد الكلام عن بناء السماء وبدء التكوين واكتمال عظمة الكون وبهائه؛ يأتي الكلام عن توابع السماء وما يحدث فيها من جريان الشمس والقمر وحدوث الليل والنهار على الأرض واليوم والليلة والشهر والسنة وبعض الظواهر الكونية.

إن أول ما يلفت الانتباه لصنع الله تعالى في السماء هي ظاهرة الشمس والقمر، والليل والنهار، قال الله تعالى ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ الأعراف ٥٤- قال في تفسير ابن كثير: "يخبر الله تعالى أنه خالق العالم سماواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام

وهي: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، وفيه-أي يوم الجمعة- اجتمع الخلق كله، وفيه خلق آدم عليه السلام، واختلفوا في هذه الأيام هل كل يوم منها كهذه الأيام كما هو المتبادر إلى الأذهان؟ أم إن كل يوم كألف سنة كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل.. فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق لأنه اليوم السابع ومنه سمي السبت وهو القطع، وأما قوله في الاستواء فقد سلك مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.. إلى أن يقول: فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى، وأما قوله يغشي الليل النهار.. أي: يذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكل منهما يطلب الآخر طلباً حيثياً أي سريعاً لا يتأخر عنها.. ثم إن الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته، أي له الملك والتصرف. أ. هـ".

وفي أمر الاستواء قال القرطبي في تفسيره: "والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيز فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم؛ لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيز، ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للمتحيز، والتغير والحدوث، هذا قول المتكلمين، وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة وخص العرش بذلك لأنه أكبر مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته، قال مالك: الاستواء معلوم- يعني في اللغة- والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة. أ. هـ ".

* وفي سورة النحل ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ**

﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٢- تأكيد على تسخير ما في الكون لأجل الإنسان ومصلحته وسعادته، فالإنسان لا يهنأ أو يسعد إلا بوجود الليل والنهار؛ أحدهما للراحة والنوم الذي لا بد للإنسان منه، والآخر للسعي والعمل لتأمين الرزق في جو من الإضاءة والنور وهي أيضاً ضرورية للحيوان والنبات، وكذلك تسخير النجوم للاهتداء بها كما هو الحال في نجم القطب الذي يدل على الشمال وقد لا يعرف إلا من خلال مجموعة الدب الأكبر أو غيرها من المجموعات التي تدل عليه، وكوكب الزهرة الذي يظهر في الغرب مع غروب الشمس وإلى ما بعد العشاء بقليل وفي أوقات يظهر في الشرق قبل الفجر ويختفي مع طلوع الشمس.

وفيها من البلاغة:

- الطباق، وهو من المحسنات اللغوية، بين الليل والنهار.

تقديم الأهم على المهم كما في ترتيب الشمس والقمر في التسخير، ولارتباط الشمس والقمر بالليل والنهار

وفوائدهما الواضحة للإنسان، والأرض كان العطف، ثم قطع العطف لتغاير فوائد النجوم، وهناك قراءات بالعطف وهو دليل ارتباط هذه الأجرام بعضها ببعض في منظومة متكاملة مسخرة لصالح الإنسان والأرض التي يعيش عليها، وقد وضحت الآية ١٦ من السورة نفسها ﴿**وعلامات وبالنجم هم يهتدون**﴾ تجليةً أكثر لفوائد النجوم، ثم تأتي الفائدة بشكل مفصل بالنسبة للإنسان في سورة الأنعام ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ ٩٧- فإذا أحاط الظلام بالمسافر وأطبق عليه الليل بحندسه في يوم غاب فيه القمر؛ تاه في هذا الظلام ولم يعد يعلم شرقه من غربه ولا شماله من جنوبه فليس له بعد ذلك إلا النظر في السماء بإمعان ليتبين موقعه ويحدد خط سيره، يقول صاحب كتاب "من الإعجاز العلمي في القرآن : " وإذا كانت العين المجردة يمكن أن تشاهد ٢٠٠٠ نجم في ليلة سماء صافية، فإن الفلكي يمكن أن يشاهد في الوقت نفسه أكثر من ألف مليون نجم بواسطة المرقب الفلكي المطور" ص ١٤٤،

فمعنى هذا أن المسافر العادي يرى ما يكفيه للاسترشاد إلى الوجهة الصحيحة.

وفيها من البلاغة:

- طباق بين البر والبحر مع سجع لطيف وهذا من خصائص القرآن الكريم علو العبارة وطلاوتها وجرسها، فلم يقل: بين اليابسة والماء.
- مناسبة الفاصلة القرآنية، حيث خاطب من له علم بالأسفار وتذكيرهم بصنع الله وتيسير الأمر للإنسان لكي يسير على هدى ليتبع بعد هذا التذكير الهدى الأعم وهو الإيمان بالله خالق هذا الكون وهذا هو الأسلوب الحكيم في الدعوة المتبع مع فئة خاصة في الفهم.
- الالتفات، من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم (وهو الذي جعل.. قد فصلنا).

• وفي سورة الطارق ﴿**النجم، الثاقب**﴾ أي المضيء الذي يثقب نوره فيخرق السموات فينفذ حتى يُرى في الأرض، وللعلم الحديث قول آخر فيه، فقد ورد في

الموسوعة الكونية الكبرى ما يلي: "فالطارق هو جرم سماوي له صفتان: وهما ﴿**النجم الثاقب**﴾ ولو قارنا بين تلك الخواص وأي جرم سماوي لوجدنا أن النجم النيوتروني يستوفي هذه الخواص؛ نجم وطارق وثاقب.. له نبضات وطرقات منتظمة تلك البيانات التي نقلها لنا اللاسلكي والتي كان مصدرها النجم النيروتروني، وقد توصل العلماء إلى أن النجم له نبضات سريعة لسرعة دورانه وسرعة طاقته.. وأن النجم النيوتروني العجوز له إشارات بطيئة على فترات أطول وذلك عندما تقل طاقته وتنقص سرعة دورانه، فسبحان الله العظيم حين خص هذا النجم بالثاقب وأقسم به فمن عظمة القسم ندرك عظمة المقسم به، فكثافة النجم الثاقب النيوتروني أعلى كثافة معروفة للمادة، ووزنه يزيد عن وزن الكرة الأرضية برغم صغر حجمه، فهو ثاقب.. قال أحد العلماء: إن هذا النجم الثاقب على صغر حجمه إذا اصطدم بالأرض أو بأي كوكب آخر أو حتى بالشمس فإنه يثقب ما يصطدم به من أوله إلى آخره.. وقدر عدد

النجوم النيوترونية في مجرتنا بمائة ألف نجم. أ. هـ) عن الموسوعة الكونية الكبرى- ماهر أحمد الصوفي- مجلد ٢- ج٣-٤ - ص ٣٥٩ ﴿**والسماء ذات الرجع**﴾ أي ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر- نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي العلم الحديث:

- تقوم الطبقة الأولى من الغلاف الجوي (التروبوسفير) بإرجاع بخار الماء إلى الأرض على شكل أمطار، وبإرجاع الحرارة إليها أيضاً في الليل على شكل غاز ثاني أكسيد الكربون.
- يعتبر الغلاف الجوي للأرض درعاً واقياً عظيماً يحمي كوكب الأرض من الشهب والنيازك والإشعاعات القاتلة للأحياء وذلك بفضل الطبقة الخامسة من طبقات الستراتوسفير.
- تعتبر الطبقة الرابعة من طبقات الغلاف الجوي وهي الثيرموسفير ذات رجع؛ فهي تعكس موجات الراديو القصيرة والمتوسطة إلى الأرض.

وعليه فمعطيات العلم الحديث عن الرجع كانت في إعادة الماء أي المطر، وإعادة حرارة الأرض مساء عن طريق غاز الكربون، وفي حفظ الأرض من النيازك وفي موجات الراديو.

البلاغة:

- وَصْفُ السماء بالمصدر بأنها ذات الرجع دليل استقرار الأمر على هذا.
- تشبيه بليغ، حيث فقدت الأداة ووجه الشبه ﴿**والسماء ذات الرجع**﴾.

* وفي سورة الواقعة ٧٥- أقسم الله تعالى بمواقع النجوم ﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾ وللقدماء كان مجرد النظر إلى السماء أن يدركوا عظم هذا الكون وسعته وامتداده وما فيه من نجوم وكواكب ومجرات، لكن في العصر الحديث تكلم العلماء عن سعة الكون بالأرقام التقريبية وهي سعة رهيبة لا يمكن أن يتصور مداها عقل، قال صاحب كتاب معارج التفكر ومدارج التدبر: "ولا نعرف بصورة

تقريبية مواقع النجوم، حتى ندرك عجزنا عن تصور الأبعاد السحيقة في السموات التي فيها نجوم هي من خلق الله عز وجل وخاضعة له جل جلاله، ومسيّرة ومسخّرة بأمره، وحتى ندرك أن الكون في اتساع مستمر، يقول علماء الفلك:

- إنه يوجد ما يزيد على ٢٠٠ بليون من النجوم.
- الشمس ليست إلا نجماً متوسط الحجم، وقطرها أكبر من قطر الأرض بـــ "١٠٩" مرة.
- بعض النجوم العملاقة قطره أكبر من قطر الشمس بألف مرة، وهي لبعدها السحيق في أبعاد الكون تظهر لأعيننا في الأرض مثل نقطة من ضوء بمقدار العدسة.
- أقرب نجم إلينا غير الشمس يبعد عن الأرض أربعين مليون مليون كيلو متر.
- النجوم التي نراها في الليل خليط من نجوم قريبة معتمة ونجوم بعيدة مضيئة جداً.

- النجوم في السموات لها حركات في مدارات لها.
- النجوم في السموات تتجمع في وحدات وكل تجمع منها خاضع لنظام واحد يدعى "مجرة"، وفي السموات ما يزيد على بليون مجرة.

وفي مجرتنا التي فيها أرضنا وشمسنا والكواكب التسعة التابعة لها والتي تدعى "درب اللبانة" ما يزيد على مائة بليون نجم، وقطر مجرتنا هذه يقدر بمائة ألف سنة ضوئية علماً بأن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ٣٠٠ ألف كيلو متر.

ثم يقول: من هذه الفقرات التي التقطها من بحوث مستفيضة عن النجوم ندرك أن المراد بمواقع النجوم أمران:

١- مواقع بعدها السحيق في السموات وإدراك هذا يفوق قدرات التصور البشري.

٢- المواقع التي يسقط فيها كل نجم ضمن حركته المنتظمة في مداره من مجرته التي هو فيها، والتي لا يخرم فيها كل نجم موقعة المحدد له على

ما قدر الله له وقضى فبالنظر إلى سرعة حركة النجوم يعتبر كل موقع يصل إليه مسقطاً من مساقطه" ص ٥٠٥-٥٠٦.

وبعد هذا البيان عن عظمة الكون الذي يدل على عظمة الخالق سأذكر ما في هذه الآية من بلاغة:

- استعارة حسية حيث شبه الليل بالستارة التي إذا غَشيت الشيء حجبته.
- طباق بين الليل والنهار.
- استعارة حسية حيث شبه الليل بالغريم والنهار بالغارم فراح الأول يطلب الثاني بقوة وبلا كلل.
- الدلالة على عظمة الخالق في تسخير الشمس والقمر والنجـــوم لأمره وإضفاء الحياة عليها لتسمع وتطيع.
- الإطناب حيث أطنب في وصف السماء وما فيها، بينما أوجز في سورة ق ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ ٣٨ .

- التأكيد والتحقيق بحرف (إنّ) على عظمة الله وقدرته وأن كل ما في السموات والأرض ملكه سبحانه، فختم الآية تأكيداً لذلك بقوله : ﴿**تبارك الله رب العالمين**﴾.

والله تعالى جميل يحب الجمال لذلك أراد لهذا الكون أن يكون في غاية الحسن والجمال فكانت النجوم والكواكب زينة لهذه السماء إضافة لغرضها في الإرشاد والهداية للمسافرين وفي حساب الأيام والسنين.

- وفي سورة الصافات، قال الله تعالى: ﴿**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**﴾ الصافات ٥-١٠، ورد في تفسير هذه الآيات ما يلي: "يخبر الله تعالى أنه رب هذا الكون الفسيح سماواته وأرضه ومشارقه وأنه بديع في صنعه لذلك أتقن كل شيء خلقه فزين السماء الدنيا للناظرين

إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب.. فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوءُها جرم السماء فتضيء لأهل الأرض ﴿**وحفظاً**﴾ تقديره وحفظناها حفظاً ﴿**من كل شيطان مارد**﴾ يعني التمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه.. ﴿**لا يسمعون إلى الملأ الأعلى**﴾ أي لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى وهو السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى مما يقوله من شرعه وقدرته.. ﴿**ويقذفون**﴾ يرمون ﴿**من كل جانب**﴾ من كل جهة يقصدون السماء منها ﴿**دحوراً**﴾ رجماً يدحرون به ويزجرون ويمنعون من الوصول إلى ذلك ﴿**ولهم عذاب واصب**﴾ أي في الدار الآخرة لهم عذاب موجع مستمر.. ﴿**إلاَّ من خطف الخطفة**﴾ أي إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها للذي تحته ويلقيها الآخر للذي تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكاهن.. ﴿**فأتبعه شهاب ثاقب**﴾ أي مستنير" ملخص عن تفسير ابن كثير.

البلاغة:

- الاكتفاء نوع من المجاز حيث حذف "ورب المغارب" لاكتفائه بذكر الأول عن الثاني لما بينهما من التلازم والارتباط، وكذلك الاكتفاء في ذكر الكواكب اكتفاء بها عن النجوم لأنها معروفة عند العرب فذِكرُ الأخص يشمل الأعم.
- استعارة حسية حيث استعار للسماء الزينة التي غالباً هي للعروس لإضفاء الجمال.
- في زينا وزينة، فهي من المحسنات اللفظية، وتندرج تحت بند مراعاة النظير من حيث الائتلاف والتناسب وعدم التنافر، فالكواكب بدل "بزينة" فجاءت لتحسين اللفظ وطلاوة العبارة، سواء قرئت الكواكب بالجر أو النصب، فهي بدل على المحل في قراءة النصب.
- الاختزال، وهو نوع من المجاز؛ حيث عطف المصدر حفظاً على زينا على تقدير محذوف "وحفظناها حفظاً".

- الأسلوب المسجوع في القرآن ﴿**عذاب واصب**﴾ ولم يقل كما في آيات أخر: اليم، شديد، مراعاة لحلاوة الجرس وحسن الإيقاع مع ما قبلها ﴿**من كل جانب**﴾ وما بعدها ﴿**شهاب ثاقب**﴾.
- والآيات المذكورة في جملتها حول السماء وما فيها داخلة في الإطناب وفيها من الفائدة الدلالة على عظيم صنع الله وتقوية الإيمان عند المؤمنين وتحقير الشياطين.

المبحث الثاني: آيات مختارة عن الشمس والقمر والحساب والسنين والأشهر والأيام والليل والنهار.

* في سورة الأنعام نموذج آخر مما خلق الله تعالى في الكون وبيان فوائده، قال تعالى: ﴿**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ ٩٦-٩٧، وقد ورد في تفسير هاتين الآيتين ما يلي: "كما أنه فالق الحب والنوى كذلك هو فالق ظلمة الليل

الداجي الشامل لما على وجه الأرض بضياء الصبح الذي يفلقه شيئاً فشيئاً، حتى تذهب ظلمة الليل كلها ويخلفها الضياء والنور العام.. ولما كان الخلق محتاجين إلى السكون والاستقرار والراحة التي لا تتم بوجود النهار والنور؛ جعل الله الليل سكناً يسكن فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها والطيور إلى أوكارها فتأخذ نصيبها من الراحة.. وجعل تعالى الشمس والقمر حسباناً بهما تعرف الأزمنة والأوقات فتضبط بذلك أوقات العبادات وآجال المعاملات ويعرف بهما مدة ما مضى من الأوقات.. ومن الأدلة العقلية على إحاطة علمه؛ تسخير هذه المخلوقات العظيمة على تقدير ونظام بديع تحير العقول في حسنه وكماله وموافقته للمصالح والحكم، وحين تشتبه عليكم المسالك ويتحير في سَيْرِهِ السالك، جعل الله النجوم هداية للخلق إلى السبل التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم وتجاراتهم وأسفارهم، منها نجوم لا تزال تُرى ولا تسير عن محلها ومنها ما هو مستمر السير يعرف سَيْره أهل المعرفة بذلك ويعرفون به

الجهات والأوقات" نقلاً عن تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

البلاغة:

- فالق الإصباح: استعارة تبعية مكنية، حيث استعير لها هذا التشبيه من عملية فلق الحب والنوى، ففي الحب والنوى فلقتان وبينهما رشيم إذا غذيت النواة بالماء والتربة نبت الرشيم وتغذى أولاً من الفلقتين إلى أن يضرب بجذره الأرض فيتغذى منها، وعليه فينبت من بين الفلقتين وريقات هي أصل النبات، وهنا قام مقام الفلقتين الليل والنهار فخرج من بينهما الإصباح فأخذ شيئاً من ظلمة الليل وشيئاً من ضوء النهار فكان وسطاً.
- وجعل الليل سكناً؛ تشبيه بليغ حيث شبه الليل بالسكن أو السكون.
- وفيه أيضاً الاكتفاء وهو من المجاز، حيث اكتفى بالليل ولم يذكر النهار بأنه للمعاش كما في سورة النبأ ﴿**وَجَعَلَ اللَّيلَ لِبَاساً وَالنَّهارَ مَعَاشاً**﴾.

وفي كتاب "**سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن**" يناقش الفرق بين حساب وحسبان، فيقول: "إن كل المعاني الواردة في ألوان السياق المختلفة لهذه الكلمة.. تُرَدّ إلى المعنى الأصلي: العَدّ، أما حسبان.. فلها معنى واحد هو الحساب الدقيق، ثم يقول: وينبني على الفرق بين الحساب والحسبان فرق آخر؛ وهو أن الحسبان جاءت لتشير إلى أمر يخص الفلك أو يشير إلى علاقة أجزاء الفلك بعضها ببعض، ولم ترد الحساب ولا مرة واحدة لتشير إلى مثل ذلك مع أنها وردت تسعاً وثلاثين مرة" وقوله: ﴿**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً**﴾ كانت الإشارة إلى حساب الفلك عن طريق حساب حركة الشمس والقمر لأن الشمس والقمر يكونان ظاهرتين من أعظم الظواهر الفلكية التي يراها الإنسان ويحس بوجودها: الشمس ضياء، والقمر نور، لولا الشمس لما عاش إنسان أو طير أو حيوان، ولولا القمر لاختلت كثير من أشياء الأرض، ستختل حركة البحر وسيختل نمو النبات والحيوان ويختل مزاج

الإنسان، ولو اقتربت الشمس قليلاً من الأرض لاحترقت الحياة، ولو ابتعدت قليلاً لماتت الحياة على الأرض صقيعاً وقراً، ولو اقترب القمر من الأرض قليلاً أو ابتعد قليلاً لاختلت الحياة أنواعاً لا تحصى من الاختلال.

ولو اختلَّ الحساب المضبوط الدقيق ما بين الشمس والقمر أقل اختلال لاختلّ نظام الكون واختلَ نظام الحياة فانتهت سيرتها الأولى.

إن زيادة المعنى التي جاءت في حسبان ولم تجيء في حساب لراجعة إلى زيادة الألف والنون فيها". أ.هـ.

ومن الناحية البلاغية ﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾ فيها مراعاة النظير في الائتلاف والتناسب وعدم التنافر لما بعدها من الآيات ﴿**والنجم والشجر يسجدان**﴾ ، كما فيها تقديم الأهم على المهم.

وأما البروج فهي آيات عظيمة من آيات الله، قال الله تعالى ﴿**وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ**﴾ البروج

١-٢، فالله تعالى إذا أقسم بالشيء دل على أهميته فضلاً عن توجيه الأنظار إليه ليُنظر إليه بعناية واهتمام لخير الإنسان وفائدته.

وقد ورد في كتاب "من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" عن البروج ما يلي: وقد تبين للعلم الحديث أن في السماء بروجاً وطرقاً ومسالك ومدارات ثابتة ومحددة لكل كوكب ونجم وشمس وسديم من بين ملايين كل جنس منها المتناثرة في رقعة السماء، ولا يمكن لأي منها أن يحيد عن مداره أو مسلكه الذي حدد لها بأمر خالقها تبارك وتعالى على الرغم من الاختلاف الكبير فيما بينها من حيث الشكل والحجم والتركيب الغازي والمعدني والكثافة والسرعة والمدارات والطرق والمسالك في السماء التي لا حصر لها عدداً، فهي تعد ببلايين البلايين بعدد ما في السماء من نجوم وكواكب وأقمار، إلا أن هذا العدد –الهائل– محبوك بإتقان مذهل ومتشابك بنظام معجز ومحكم بنسيج مبدع. ويقسم الله سبحانه وتعالى بالسماء ذات البروج، والبرج هو الحصن، وجمعه أبراج وبروج.. أقسم الله بالبروج التي

هي منازل الشمس ومنازل القمر الاثنا عشر برجاً وباليوم الموعود الذي هو يوم القيامة، وفي سورة الحجر الآية ١٦ ﴿**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾ تشير الآيات إلى أهمية منازل الشمس والقمر وبروجها والتي بمقتضاها يعرف الناس عدد السنين والحساب وأن هذه البروج لم تخلق بصورة عشوائية بل جعل الله من مواقع منازلها في السماء على شكل صور ومناظر متنوعة ومبهرة للناظرين إليها.. وتشير الآية ٦١ من سورة الفرقان إلى المشهد السماوي نفسه، فبدأت هذه الآية بقوله تعالى ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً**﴾ أي تقدس وتنزه أن يكون لله شريك في خلقه أو عبادته الذي بقدرته وبمشيئته جعل في السماء بروجاً وتعرف البروج الاثنا عشر بالحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وتنزل كل من كواكب المجموعة الشمسية في كل منزل أو برج وكأنها تنزل في قصر لها.

البلاغة:

- القسم بالسماء ذات البروج فيها الدلالة على عظمة الخالق والتوجيه إلى تدبر هذه الآية العظيمة.
- الإيجاز حيث اقتصر على ذكر البروج في السماء.
- وفي الآية من سورة الحجر: فيها الاكتفاء والإيجاز؛ حيث أجمل ﴿**وزيناها للناظرين**﴾ ولم يذكر الكواكب والنجوم والشمس والقمر، فاكتفى بمدلول الزينة عن التفصيل.
- وكذلك في ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً**﴾ فيها توحيد الخالق وتنزيهه عن الشريك فيما خلق.
- إضافة إلى الإطناب حيث ذكر البروج والشمس والقمر.
- الكناية حيث كنى عن الشمس بأحد أوصافها وهو السراج، فقد ذكرت الآية في سورة نوح هذه الصفة ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً**﴾ ١٦.

- ذكر التسلسل بالأهم، فذكر الشمس ثم القمر.
- البيان العالي في النظم القرآني ومراعاة النظير في (بروجاً) و (سراجاً) ولو ذكرت الشمس صراحة لما ناسب هذا البيان.
- وفي هذه الآية من سورة نوح، نجد التشبيه المؤكد، حيث شبه الشمس بالسراج والقمر بالنور.

* ومع هذه الآيات في سورة يس: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ ٣٧-٤٠، قال في الفتح القدير : "أن ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته، ووجوب إلهيته، والسلخ: الكشط، والنزع، يقال: سلخه الله من بدنه، ثم يستعمل بمعنى: الإخراج، فجعل الله ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من الشيء وهو استعارة بليغة

﴿**فإذا هم مظلمون**﴾ أي داخلون في الظلام مفاجأة وبغتة.. ﴿**والشمس تجري لمستقر لها**﴾ يحتمل أن تكون الواو للعطف على الليل، والتقدير وآية لهم الشمس.. ويحتمل الواو ابتدائية.. ويكون الكلام مستأنفاً مشتملاً على ذكر آية مستقلة، وقيل في الكلام حذف، والتقدير: تجري لمجرى مستقر لها.. ﴿**والقمر قدرناه منازل**﴾.. وانتصاب منازل على أنه مفعول به ثان، لأن قدرنا بمعنى: صيرنا، ويجوز : أن يكون منتصباً على الظرفية، أي: في منازل.. والمنازل هي الثمانية والعشرون التي ينزل القمر في كل ليلة في واحد منها.. فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها، فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين، ثم يطلع هلالاً ﴿**حتى عاد كالعرجون القديم**﴾ قال الزجاج: العرجون هو عود العذق الذي في الشماريخ، وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف، أي: سار في منازله فإذا كان في آخرها دق واستقوس وصغر حتى صار كالعرجون القديم.. وقال الخليل: العرجون أصل العذق وهو أصفر عريض يشبه الهلال إذا انحنى.. ﴿**لا**

الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ أي: لا يصح ولا يمكن للشمس أن تدرك القمر في سرعة السير وتنزل في المنزل الذي فيه القمر..﴿**ولا الليل سابق النهار**﴾ أي لا يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه ويجيء كل واحد منهما في وقته.. ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ التنوين في كل عوض عن المضاف إليه، أي: كل واحد منهما ، والفلك: هو الجسم المستدير، أو السطح المستدير، أو الدائرة، والسبح: السير بانبساط وسهولة، والجمع في قوله يسبحون باعتبار اختلاف مطالعهما، فكأنهما متعددان بتعددها، أو المراد الشمس والقمر والكواكب".

يقول صاحب كتاب الإعجاز العلمي: "وينتج عن الحركة المحورية للنجوم والكواكب قوة طرد مركزية تحتفظ للنجم أو للكوكب موقعه في مداره على بعد ثابت بينه وبين النجم الأم، وتتمثل العوامل التي تؤثر في استمرار حدوث ربط النجوم والكوكب بعضهـــا بالبعض الآخر في الآتي:

- كتلة الشمس الأم.

- الدوران المحوري للشمس.
- قوة الجذب للشمس.
- كتلة كل كوكب تابع للشمس.
- استمرار الدوران المحوري لكل كوكب في سرعة ثابتة له.
- قوة الطرد المركزية لكل كوكب.
- المسافة الفاصلة بين الشمس وكل كوكب.

وعلى الرغم من تعدد هذه العوامل وطول الفترة الزمنية لعملها منذ بداية نشوئها حتى اليوم؛ والتي تقدر بملايين السنين، إلا أن الشموس والنجوم والكواكب ظلت تعمل بقدر ولم يصبها خلل أو زلل، ذلك لأنها تعمل وهي مسخرة بأمر الله عز وجل، ولا تخضع للصدفة أو العشوائية وإن حدوث أي نوع من الاضطراب في أي عامل من العوامل السابقة الذي يؤدي إلى تفكك قوى الربط بين الشمس الأم وكواكبها وينجم عن ذلك انفجار وانشطار، وانشقاقها وهذا لا

يحدث إلا إذا قضى الله سبحانه وتعالى فاطرها وخالقها بأن يكون أ.هـ) ص ٢٤٧، وفي الموسوعة الكونية الكبرى فرق بين الجري والسباحة، يقول عن الشمس: "فإن جريها لمكان تستقر فيه لا يتحقق بمجرد سبحها في فلك ثابت غير منتقل في الفضاء، بل إنه يتحقق إذا كانت تسبح في فلك بشرط أن تكون السباحة مقرونة بحركة جري أو انتقال سريع لهذا الفلك في الفضاء لكي تبلغ بهذا الجري المستقر المقدر لها. مجلد٢ ج٤ ص ٤٨١.

البلاغة:

- الاستعارة في قوله: نسلخ منه النهار فالمستعار منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل، ويترتب على سلخ النهار الظلمة وهي استعارة تصريحية مرشحة.
- التوشيح، وفيه ائتلاف القافية في كلمة "مظلمون".
- تشابه الأطراف في "العزيز العليم" فجريان الشمس يحتاج للعزة ووصولها للمستقر يحتاج للعلم.

- الحذف من أجل جمال العبارة في (تقدير العزيز العليم) تقدير راجعة للعليم، والعزيز تحتاج إلى عظمة، أي: ذلك عظمة العزيز وتقدير العليم.
- الاكتفاء في آية "والقمر قدرناه منازل" والمنازل تعني زيادة النور فيه كل يوم ليكون بدراً ثم يبدأ التراجع حتى يصبح كالعرجون القديم، فاكتفى بذكر نهايته.
- التشبيه التام، حيث شبه القمر بالعرجون القديم، فجمع أركان التشبيه كافة.
- التقسيم، فذكر الشمس وجريانها لمستقرها ثم القمر ومنازله.
- كلٌ، تنوين العوض، وهو عوض عن مضاف إليه كي لا يعاد ذكر الشمس والقمر والكواكب.
- السجع المرصع، بين "العليم" و "القديم".
- المجاز المرسل، فالليل والنهار لا يسبحان وإنما المقصود به لازم من لوازمهما والقرينة على هذا

﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ فمن لوازمهما سباحة الشمس والقمر والأرض.

- الاستغناء بالجمع عن الإفراد في ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ كما فيها مراعاة الفاصلة مع الإرشاد أو التمكين حيث ختم بـــ ﴿**يسبحون**﴾ لأن الكواكب تسبح في الفضاء.

* وفي سورة الزمر، قال الله تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**﴾ ٥- قال في تفسير الفتح القدير: "أي: لم يخلقهما باطلاً لغير شيء، ومن كان هذا الخلق العظيم خلقه استحال أن يكون له شريك أو صاحبة أو ولد، ثم بين كيفية تصرفه في السموات والأرض، فقال: ﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾ التكوير في اللغة: طرح الشيء بعضه على بعض، يقال : كور المتاع: إذا ألقى بعضه على بعض، ومنه كور العمامة، فمعنى تكوير الليل

على النهار: تغشيه إياه حتى يذهب ضوؤه، ومعنى تكوير النهار على الليل: تغشيه إياه حتى تذهب ظلمته.. وقيل: أن ما نقص من الليل دخل في النهار، وما نقص من النهار دخل في الليل ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**﴾.. ﴿**وسخر الشمس والقمر**﴾ أي: جعلهما منقادين لأمره بالطلوع والغروب لمنافع العباد.أ. هـ".

وفي تفسير الشيخ طنطاوي جوهري، يقول: "إن التكوير هو اللف واللَّي، ويقال: كار العمامة على رأسه وكورها، ولا جرم أن كل واحد من الليل والنهار في تتابعهما أشبه بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض".

البلاغة:

- الاستعارة، حيث استعار فعل يكور ليعلم كيفية تتابع الليل والنهار.
- رد العجز على الصدر في ﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾.

- عظمة الله وقدرته في تسخير الشمس والقمر لما يريد.

وفي آية يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، فيها من أسلوب البديع "العكس" بحيث يؤتى بكلام يقدم جزءاً ويؤخر الآخر، ثم يأتي بالمؤخر مقدماً.

وتذكر سورة الإسراء ظاهرة الدلوك وغسق الليل والفجر، وهي من توابع السماء لذلك لا بد للتعرض لهذه الظواهر من التفسير والبلاغة، قال الله تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**﴾ ٧٨- قال في الفتح القدير: "أجمع العلماء على أن هذه الآية المراد بها الصلوات المفروضة، وقد اختلف العلماء في الدلوك على قولين: أحدهما: أنه زوال الشمس عن كبد السماء.. والثاني: أنه غروب الشمس.." ، يقول الشوكاني: "والقول عندي أنه زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس، والمعنى: أقم الصلاة من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل فيدخل

فيها الظهر والعصر وصلاتا غسق الليل وهما العشاءان، ثم قال ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ هذه خمس صلوات، وغسق الليل: اجتماع الظلمة".

وأما الشفق فقد ورد في سورة الانشقاق ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ ١٦-١٨، قال في الفتح القدير: "الشفق: الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة.."، وفي الصحاح: "الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى العتمة".

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ الوسق عند أهل اللغة: ضم الشيء بعضه إلى بعض.. قال الواحدي: المفسرون يقولون: "وما جمع وضم، وحوى ولف، والمعنى: أنه جمع وضم ما كان منتشراً بالنهار في تصرفه، وذلك أنه إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه"، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي اجتمع وتكامل، قال الفراء: "اتساقه امتلاؤه واجتماعه، واستواؤه ليلة ثالث عشر ورابع عشر إلى ست عشرة .أ.هـ".

وفي كتاب الإعجاز يقول: "ويفسر بعض العلماء الشفق بأنه الوقت الخاشع المرهوب بعد الغروب- نقله عن الظلال لسيد قطب- ويحدد العلم الشفق بأنه تدرج الضوء على دائرة الأفق المرئي من جهة شروق الشمس ومن جهة غروبها كذلك، أو بمعنى آخر فإن الشفق هو الحد الفاصل لحالة الضوء بين ظلام الليل المعتم ونور الفجر المبصر.. ويحدد الفلكيون وقت الشفق والفجر؛ بأن الشفق هو وقت مغيب الشمس تحت الأفق بالنسبة للراصد، ويشع الضوء على جزء كبير من الهواء بالأفق وتعمل الذرات والجسيمات الدقيقة من الأتربة على انعكاس الأشعة الضوئية ومن ثم يبدو الجزء الذي يقع فوق المماس الأراضي مضيئاً في حين يبدو الجزء الذي يقع تحته مظلماً، وكلما هبطت الشمس تحت الأفق يقل الجزء المضي تدريجياً إلى أن ينعدم الضوء الذي يصل مباشرة من الشمس.. ويلاحظ بأن هناك فرقاً مميزاً بين شفق الصباح وشفق المساء، ففي المساء يبدو ضوء الشمس الذي تعكسه ذرات الأتربة المعلقة في الهواء مصفراً عند الغروب ومبيضاً عند

ابتداء الليل، أما عند الشروق فإن الفجر يبدأ بظهور الضوء الأبيض ثم يصفر تدريجياً حتى ينتهي باللون الأحمر عند طلوع الشمس. أ.هـ ".

البلاغة:

- حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، لدلوك، أي: من دلوك، كما ورد في تفسير الآية سابقاً.
- التدبيج: وذلك في روعة البيان في الآية كاملة وهو نوع من الطباق، دلوك الشمس وغسق الليل.
- الكناية، حيث كنى عن دخول وقت صلاة الظهر بالدلوك.
- الإيجاز، لأن وقت العصر قد دخل فيها ضمن وقت الدلوك.
- إلى تفيد ابتداء الغاية، وكنى ببدء الغسق عن صلاة المغرب ﴿**إلى غسق**﴾ كما اكتفى بذكر الغسق عن ذكر صلاة العشاء ﴿**غسق الليل**﴾ لأنه يطلق على صلاة المغرب والعشاء "العشاءان".

- التعبير بالجزء وهو يشتمل على الكل كما في ﴿**قرآن الفجر**﴾ حيث أراد صلاة الفجر فالقرآن جزء مما في الصلاة.
- الالتفات، من المخاطب إلى الغيبة (أقم) ﴿**إنَّ قرآن الفجر كان**﴾.

وفي آيات الانشقاق:

- فيها القسم دلالة على أهمية المقسم به ولفت النظر إليه.
- فلا أقسم: بمعنى: أقسم وهي للتأكيد.
- السجع، عند مقاطع الآيات.
- التفويت، وهو نوع من البيان يذكر فيها معان شتى من الوصف.
- العنوان، وهو نوع من البيان للفت النظر إلـــــى القوانين العلمية فيما خلق الله وهنا لفت النظر إلى علم الفلك.

*وفي سورة التوبة، قال الله تعالى﴿**إنَّ عِدَّةَ الشُّهُـــور**

عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾

٣٦- ورد في تفسير الفتح القدير: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ** ﴾ أي: عدد شهور السنة عند الله في حكمه وقضائه وحكمته : اثنا عشر شهراً ﴿**فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ فيما أثبته في كتابه.. وفي هذه بيان أن الله سبحانه وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على الترتيب المعروف يوم خلق السموات والأرض.. ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** ﴾ هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ثلاثة سرد وواحد فرد كما ورد بيان ذلك في السنة المطهرة ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ أي: كون هذه الشهور كذلك ومنها أربعة حرم هو الدين المستقيم، والحساب الصحيح والعدد المستوفى. أ. هـ".

أقول: فهذا بيان واضح للناس بأن الله تعالى خفف عنهم عناء التفكير في حساب الشهور والسنين بوضع هذا القانون الإلهي المحكم.

* وفي سورة البقرة، قال الله تعالى:﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ**

الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ١٨٩ – قال في فتح القدير: "الأهلة: جمع هلال، وجمعها باعتبار هلال كل شهر أو كل ليلة تنزيلاً لاختلاف الأوقات منزلة اختلاف الذوات، والهلال: اسم لما يبدو في أول الشهر وفي آخره **﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾** فيه بيان وجه الحكمة في زيادة الهلال ونقصانه؛ وأن ذلك لأجل بيان المواقيت التي يوقت الناس عباداتهم ومعاملاتهم بها، كالصوم والفطر والحج ومدة الحمل والعدة والإجارات والإيمان وغير ذلك.. وإنما أفرد الله سبحانه الحج بالذكر لأنه مما يحتاج فيه إلى معرفة الوقت.. وقد جعل بعض علماء المعاني هذا الجواب، أعني قوله **﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ ﴾** من الأسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، ووجه ذلك أنهم سألوا عن أجرام الأهلة باعتبار زيادتها ونقصانها؛ فأجيبوا بالحكمة التي كانت تلك الزيادة والنقصان لأجلها. أ. هـ".

- وفي سورة الإسراء بيان بأن القمر كان مشتعـــلاً

فصار بارداً ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ ١٢- قال في الموسوعة الكونية الكبرى: "لقد أثبت العلم الحديث بان القمر كان كوكباً مشتعلاً عند نشوء الكون ولكنه انطفأ بعد مرور ملايين السنين، وقد جاءت هذه النظرية الحديثة مطابقة للآية ﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾ أي: أزلنا ضوء القمر لأن القمر هو آية الليل، بينما آية النهار الشمس التي ظلت مبصرة ومشتعلة" ص ٤٩٠- مج٢- ج٤.

البلاغة:

- التفصيل بعد الإجمال، أي بعد ذكر عدد الشهور ذكر: (منها أربعة حرم) .
- الاختزال، وهو حذف فعل أو اسم أو حرف أو أكثر ﴿**في كتاب الله**﴾ فهناك كلام مقدر محذوف، أي مرقومة في كتاب الله، وكذلك في ﴿**ذلك الدين القيم**﴾ حذف المبتدأ "هو" ذلك هو الدين القيم.
- تقدير الزمن قبل خلق الإنسان، دلالته ﴿**يوم خلـق**

السموات والأرض﴾.

- أسلوب الحكيم وهو أسلوب بلاغي في ﴿**يسألونك عن الأهلَّة﴾** فكان الجواب بأكثر مما يريد السائل ﴿**قل هي مواقيت للناس والحج﴾**.
- التعبير بالمجمل عن المفصل، الأهلة مجملة ولكنه عبر بها عن تفصيل ما يحدث للقمر من حالات تغير، وكذلك في كلمة "مواقيت" فهي مواقيت يومية تعبر عن الأيام ومواقيت شهرية تعبر عن الشهور ومواقيت سنوية تعبر عن عدد انقضاء السنين.
- الاختزال، حيث ذكر الحج في الحاجة فيه إلى الأهلة مع أن رمضان أيضاً بحاجة لها، وكذلك الزكاة وأمور كثيرة كما ورد في التفسير أعلاه.
- أسلوب البديع في "العنوان" حيث أشار إلى مجالات علمية لتعلم الفلك والمواقيت.
- التفصيل بعد الإجمال ويقال له: التقسيم في ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾**.

- الكناية، حيث كنى عن القمر بآية الليل واستعار المحو عند سلبه الضياء بدل الإظلام.
- وكذلك كنى عن الشمس بآية النهار، وأضفى على الشمس الحياة بصفة الإبصار ﴿ **وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ فاستعار للشمس البصر.

المبحث الثالث: آيات مختارة عن الرياح والسحاب والمطر والبرق والرعد.

ومن توابع خلق السماء أيضاً ما تحويه السماء الدنيا من رياح وغيوم وأمطار ورعد وبرق، فالغيوم بحار متنقلة فيها ملايين الأطنان من الماء وهي بحر لا يقل ماؤه العذب عن ما في البحار من ماء ويكفي أن تمر مزنة فوق منطقة ما فتسقط من الأمطار بإذن ربها خلال ساعات معدودة ما يملأ الأودية ويحدث الفيضان ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ الذاريات ٢٢- فهو المطر الذي يحصل بإنزاله الرزق، وفي سورة الجاثية ﴿**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ ٥ .

قال في القاموس المحيط: "تصريف الآيات: تبيينها، وتصريف الرياح: تحويلها من وجه إلى وجه".

وفي تفسير القرطبي: "تصريف الرياح: إرسالها عقيماً وملقحة، وصرّاً ونصراً وهلاكاً، وحارة وباردة، ولينة وعاصفة، وقيل: إرسالها جنوباً وشمالاً".

البلاغة:

- المطابقة بين الليل والنهار.
- كنى عن المطر بالرزق، وهذا على اعتبار ما سيكون من الإنبات وحصد الثمار.
- المقابلة بين إحياء الأرض وموتها، والمقابلة نوع من الطباق .
- الاختزال في حذف "في" لورودها في آية سابقة ﴿**وفي خلقكم**﴾ فالمقدر ﴿**وفي اختلاف**﴾ ﴿**وفي تصريف الرياح**﴾ على قراءة الكسر.
- مناسبة الفاصلة لما تقدم فالعاقل يدرك أن هذه الظواهر الكونية هي من صنع الخالق.

*وفي سورة البقرة تتوسع الآية الكريمة في ذكر الظواهر الكونية ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ ١٦٤-

البلاغة:

- هذه الآية بتمامها فيها إطناب، حيث شملت أموراً كثيرة وبياناً وافياً عن قدرة الله وعظمته وبديع صنعه.
- الطباق بين الليل والنهار، والسماء والأرض.
- المقابلة في ﴿**فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ .
- جناس غير تام بين (السماء.. وماء).
- إيجاز القصر، في ﴿**من كل دابة**﴾ شمل بذلك كل من يدب على الأرض.

- مناسبة الفاصلة لما تقدم، فالعاقل هو الذي يرجع كل ذلك إلى الله ويؤمن به إلهاً خالقاً قادراً وما سواه من المعبودات حقيرة لا تقدر على شيء من هذا.

* وفي سورة الحجر يبين الله تعالى صفة أخرى للرياح ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ ٢٢- وإضافة إلى تفسير قدماء المفسرين لمعنى "لواقح" بأنها تنقل حبات اللقاح من الشجرة الذكر إلى الأنثى لتثمر الأشجار، فإن العلم الحديث له رأي إضافي ودقيق لمعنى "لواقح" : "تتلخص في أن الرياح هي حركة الهواء بالقرب من سطح الأرض ويتحرك الهواء عند تسخينه من أسفل إلى أعلى وعند صعود الهواء الساخن إلى أعلى يحمل معه شحنات كهربائية موجبة وينتج عن تصادم هذه الشحنات تلك بالسالبة الموجودة بالسحب حدوث تفاعلات كهربائية أقرب إلى التلقيح بين السالب والموجب يؤدي إلى حدوث عواصف الرعد والبرق وهطول المطر"- من الإعجاز العلمي في القرآن ٥٥٣.

البلاغة:

- استعارة تصريحية، حيث شبه عملية تلاقي كتلتين من الرياح الموجبة والسالبة بتلاقح الذكر مع الأنثى، وينتج عن ذلك البرق والرعد والأمطار.
- الكناية عن جعل السماء مخزناً للماء تشبيهاً بما في الأرض من خزّانات.

* وفي سورة النور تفصيل أكثر شمولاً وذلك للفت الأنظار إلى عظيم صنع الله ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ**﴾ ٤٣- يزجي: يسوق ويدفع، يؤلف بينه، يجمعه بعضه على بعض، ركاماً: مجتمعاً يركب بعضه بعضاً، الودق: له معنيان؛ البرق والمطر، السنا: خيوط البرق والضياء.

آية تتضمن تفصيل ما يحدث في السماء عند تشكـــل

المطر أو الثلج وما يرافق المطر الكثيف من برق ورعد حتى ليكاد من شدته يذهب بالأبصار.

البلاغة:

- التورية، يزجي سحاباً، فالمعنى المتبادر للذهن السوق والدفع والمعنى المراد أمر الله بهذا، وقد يكون الأمر لميكائيل لأنه مختص بالسحاب والمطر، وقد يكون الأمر للرياح.
- الإيجاز حيث استعمل كلمة "الودق" وهي تحمل معنى المطر ومعنى البرق.
- الإطناب في عموم الآية لإتمام الوصف مفصلاً.
- الالتفات، في ﴿**ألم تر**﴾ و ﴿**يزجي**﴾ وكذلك (**ثم يؤلف بينه**) إلى ﴿**فترى الودق**﴾.
- الترتيب، في تسلسل تكوين المطر ﴿ **يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ**﴾.
- أسلوب الاستعارة؛ حيث استعار تعبير الجبال بالجمع

لتصور حجم البرد الهائل النازل من السماء.

- أسلوب المبالغة في "سنا البرق" الذي يذهب بالأبصار.
- الجناس بين ﴿**يذهب بالأبصار**﴾ و ﴿**لعبرة لأولي الأبصار**﴾ على رأي ابن حجر.
- الكناية، حيث كنى بذهاب البصر عن كلمة يعمي الأبصار، وهذا من نوع ترك اللفظ إلى ما هو أحسن منه.
- استعارة في يقلب الله الليل والنهار كمثل السجل صفحة لليل وأخرى للنهار.
- التعريض في ﴿**لأولي الأبصار**﴾ فهم وحدهم من يدرك عظيم قدرة الله ومن لا يدرك ذلك فليس منهم، أي من عميان البصر.
- مراعاة الترتيب في البدء حيث بدأ بالليل ثم النهار، وهذا ملاحظ في كل آيات الليل والنهار.